خطبة جمعة بعنوان

[بصائر في أهمية معرفة الكبائر}

لفضيلةِ شَيْخِنَا العلامة:
أبِيْ عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري

٦/ صفر/١٤٤٤ هجرية

مسجد ابراهيم بشحوح سيئون

فرغها : أبو عبدالله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أم بعد أيها الناس: إن كل بلاء على الأمة، وكل نكبة عليها هو بسبب ذنوبها ومعاصيها، قد أبان الله جل وعلا ذلك في كتابه قائلاً:{وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ (30)}[الشورى:30].

وقائلا سبحانه وتعالى:{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (45)}[فاطر:45]

وقال سبحانه وتعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)}[الأعراف:96].

إن كل بلاء على الأمة هي بأمس حاجة إلى التخلص من ذنوبها حتى تنجوا من الكرب والشدائد، والتخلص من ذلك بطاعة الله عز وجل، واجتناب كبائرها، وعدم الإصرار على صغائرها، فإن الإنسان مادام مجتنبا الكبائر وغير مجاهر بها وغير مصر على الصغائر ومتبجح بها

فإنها في عافية، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:"كلُّ أُمّتي مُعافًى إلا المجاهرين"؛أخرجه البخاري (6069)، ومسلم (2990) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فعافية الأمة لعدم المجاهرة بالمعاصي، وإنه لا يجوز لأحد أن يحقر الذنب، ويعتبره يسيرا مهما كان صغره في عينه، فانظر إلى من تعصي وهو رب العالمين سبحانه وتعالى، وأن ذلك مدون عليك يوم القيامة، {وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52)وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (53)} [القمر:52،53].

صغائر الذنوب وكبائر الذنوب كلها مسطره، فانظر في هذا الأمر العظيم أنه مدون عليك، وقال الله:{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)}[الكهف:49]

وهذا يدل على أن أي عمل تعمله تجده مكتوبا عند الله مدون في كتابه،{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)}[الكهف:49].

ومن هذا الباب:{يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا}[آل عمران:30]

كل ما عملت من خير أو شر على مثاقيل الذر،{وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا}

أي سوء صغيرا كان أو كبيرا، فإنه يتمنى أنه ما كان فعل، {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)}

وأخرج البخاري في صحيحه، من أنس بن مالك رضي الله، ما يدل على أن كل ما قوي خوف الإنسان من الله وورعه عظمت الذنوب في عينه، وكلما ضعف إيمانه وضعف ورعه هانت الذنوب لنفسه، وهانت في مجتمعه، وهانت عليه أن يراها وأن يشهدها، في البخاري(6492) عن أنس بن مالك رضي الله قال:"إنّكمْ لتَعْمَلُونَ أعْمالًا، هي أدَقُّ في

أعْيُنِكُمْ مِنَ الشّعَرِ، يعني شيء يسير.إنْ كُنّا لَنَعُدُّها على عَهْدِ النّبيّ صلّى اللّهُ عليه وسلّم مِنَ المُوبِقاتِ.

والموبقات هي المهلكات، ما السبب ؟ السبب هو ما ذكر آنفا، هذا إذا كان في أواخر ذلك الزمان، وأنس يخاطبهم بهذا الخطاب، كيف بأزمنتنا هذا، أعمال يعملها الناس هي عظيمة عند الله، :"إنّ اللّهَ يَغارُ، وغَيْرَةُ اللهِ أنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ ما حَرّمَ اللّهُ. أخرجه البخاري واللفظ له(5223) ومسلم(2761).

فأي شيء حرمه الله تأتيه أنت تسبب في غيرة ربك من هذا الفعل، فاحذر على نفسك غضب الله، احذر نقمة الله أيها المسلم، فهذه الجرأة في المعاصي بشتى أنواعها والمجاهرة بها ،المجاهرة بالفساد، المجاهرة بالعناد، المجاهرة بحرب صالح العباد، وأذية المؤمنين، من عاد لي وليا فقد آذنته بالحرب، كل ذلك يعد من كبائر الذنوب، وقد أبان الله عز وجل أن الذنوب تتفاوت إلى كبائر وصغائر، وكلها عظيمة، ولكن الكبائر أعظم، وجب أن تُعرف، وجب أن تُحذر أشد، لقول الله عز وجل:{إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (31)}[النساء:31].

فإذا اجتنب العبد الكبيرة ولم يصر على الصغائر ويعاند فيها فإن تلك الصغائر معرضة للغفران، معرضة للغفران بالتوحيد، معرضة للغفران بالوضوء، فإن الذنوب تخرج مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء الصغائر، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، معرضة للغفران بالصلوات الخمس، الجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، روى مسلم في صحيحه(233) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:"الصّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بيْنَهُنّ إِذَا اجْتَنَبَ الكبَائِرَ.

فإذا وفقك الله لاجتناب الكبائر أنت لست معصوما من اللمم، هذه اللمم كلها تتلاشى بطاعة الله من وضوء وصلاة وصيام وحج كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كفّارَةٌ لِما بيْنَهُمَا، والحَجُّ

المَبْرُورُ ليسَ له جَزَاءٌ إلّا الجَنّةُ.أخرجه البخاري (1773)، ومسلم (1349)عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:"مَنْ حَجّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"؛رواه البخاري (1521) ومسلم (1350) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

وكل هذا في صلاة وصدقات وطاعات كلها فيما يتعلق بصغائر الذنوب، أما كبائر الذنوب فإنها تحتاج منك إلى توبة وإقلاع وندم، وعزم على عدم العود فيها، وتحلل من المظالم فيما بين العباد، وغير ذلك من شروطها المذكورة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والمجمع عليها أهل العلم.

أيها الناس: وجب على المسلمين أن يحذروا كل الحذر ما يعرضهم من كبائر الذنوب إلى غضب الله، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" اجتنبوا السبع الموبقات. سماها موبقة، والايباق هو الهلاك، موبقة أي مهلكة، مهلكة في الدنيا ومهلكة في الآخرة لمن مات عليها، إلا أن يتداركه الله برحمة، ويفيدك هذا الحديث ويفيد المجتمع تدريس الكبائر ليحذرها الناس،:"اجْتَنِبُوا السّبْعَ المُوبِقاتِ، قالوا: يا رَسولَ اللهِ وما هُنّ؟ قالَ: الشِّرْكُ باللهِ، والسِّحْرُ، وقَتْلُ النّفْسِ الّتي حَرّمَ اللهُ إلّا بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبا، وأكْلُ مالِ اليَتِيمِ، والتّوَلِّي يَومَ الزّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَناتِ المُؤْمِناتِ الغافِلاتِ.أخرجه البخاري (2766)، ومسلم (89) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

فبدأ بأكبر الكبائر وهو الشرك بالله، هذه كبيرة لا تغفر، من لقي الله بها لا يدخل الجنة أبدا، الجنة عليه حرام، قال الله عز وجل:{إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (72)}[المائدة:72].

هذه كبيرة لا تُغفر، ثم يليها كبائر معرضة للغفران، لكنها عظائم عند الله، الشرك بالله والسحر، {وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ

فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ [البقرة:102]

السحر ضار في الدنيا والآخرة كفر، وقتل النفس التي حرم الله كبيرة،:{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ}كبيرة مما توعد عليه بالنار {خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (93)} [النساء:93].

كبيرة تضيق على المسلم دينه، قال النبي عليه الصلاة والسلام:"لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ، ما لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا. أخرجه البخاري(6862) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

أي يضيق عليه دينه، وقال عليه الصلاة والسلام في حديث أبي الدرداء :" لا يَزالُ المؤمِنُ مُعْنِقًا صالحًا ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا، فإذا أصابَ دمًا حرامًا بَلَحَ. رواه أبو داود(4270).

أي انقطع ضاق عليه دينه ينقطع، فيعرض ذلك بالخلود في النار إذا انقطع عن دين الله بسبب تلك الجريمة.

وأكل الربا، قال الله سبحانه :{الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (275)}[البقرة:275].

ومن عاد فينتقم الله وهذا كبير بدالالة القرآن، لأنه معرض لنقمة الله ولعذاب الله،:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (278)فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة:278،279].

هذا تعرض لحرب الله، هذا تفهم به بأنه كبيرة توعد عليه بحرب رب العالمين، كنظير المعادة لأولياء الله، آذنته بالحرب، كبيرة من كبائر

الذنوب.

وأكل مال اليتم،{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10)}[النساء:10].

فهذا دليل على أنها كبيرة عظيمة ،إضافة إلى ما تضمنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه، كبيرة عظيمة يأكل نار، وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:"مَن سَأَلَ النّاسَ أمْوالَهُمْ تكثُرًا، فإنّما يَسْألُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلّ، أوْ لِيَسْتَكْثِرْ. أخرجه مسلم(1041) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا يدل على أن السؤال سؤال الناس استكثارا طلبا للاستكثار مما أعطى الناس للاستكثار، أنه كبيرة من كبائر الذنوب توعد عليه بالنار، فليستقل أي جمرة من النار.

وهكذا أكل أموال الناس المال الحرام كبيرة من كبائر الذنوب، "يا كعبُ بنَ عُجرةَ إنّهُ لا يربو لحمٌ نبتَ من سحتٍ إلّا كانتِ النّارُ أولى بِهِ"؛رواه الترمذي(614) عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

توعد على هذا بالنار، فكل مال حرام تقترفه يعتبر كبيرة، تأكل المال الحرام أي مال حرام من كبائر الذنوب بنص هذا الحديث، فبعض الناس يظن أن الكبيرة بابها يسير، يجب فقه الكبائر المعرضة للعبد لعذاب الله، والنميمة كبيرة من كبائر الذنوب، تحرمك الجنة وتعرض للنار، لا يدخل الجنة قتات، قيل وما قتات قيل النمام، وعقوق الوالدين كبيرة من كبائر الذنوب، "ألا أُنبِّئُكمْ بأكْبَرِ الكبائِرِ قُلنا: بَلَى يا رَسولَ اللّهِ، قالَ: الإشْراكُ باللّهِ، وعُقُوقُ الوالِدَيْنِ، وكانَ مُتّكِئًا فَجَلَسَ فقالَ: ألا وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادَةُ الزُّورِ، ألا وقَوْلُ الزُّورِ، وشَهادَةُ الزُّورِ فَما زالَ يقولُها، حتّى قُلتُ: لا يَسْكُتُ.أخرجه البخاري(6273) من حديث أبي بكرة نفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه.

لما رأوا من شدة غضبه عليه الصلاة والسلام، منها اقتراف هذه الكبائر،

أعمالنا تعرض على رسولنا عليه الصلاة والسلام، "عُرِضَتْ عَلَيّ أعْمالُ أُمّتي حَسَنُها وسَيِّئُها، فَوَجَدْتُ في مَحاسِنِ أعْمالِها الأذَى يُماطُ عَنِ الطّرِيقِ، ووَجَدْتُ في مَساوِي أعْمالِها النُّخاعَةَ تَكُونُ في المَسْجِدِ، لا تُدْفَنُ.أخرجه مسلم (553) عن أبي ذر رضي الله عنه.

كلها معروضة، ولهذا الكبائر معروضة عليه يوم القيامة، وسوء الرعاية كبيرة من كبائر الذنوب عباد الله، كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، ومما يدل على كبرها وعظمها قول النبي صلى الله عليه وسلم:"

ما مِن عَبْدٍ اسْتَرْعاهُ اللهُ رَعِيّةً، فَلَمْ يَحُطْها بنَصِيحَةٍ، إلّا لَمْ يَجِدْ رائِحَةَ الجَنّةِ."؛أخرجه البخاري (7150)، ومسلم (142) واللفظ له، عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا، وقتل المعاهد المستأمن، :"مَن قَتَلَ مُعاهَدًا لَمْ يَرِحْ رائِحَةَ الجَنّةِ، وإنّ رِيحَها تُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ أرْبَعِينَ عامًا.أخرجه البخاري(3166) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

وهكذا تتوالى الأدلة في أهمية معرفة الكبائر التي استهان بها الناس، كثير ما يقعون فيها وهم لا يشعرون، الإساءة إلى الجار، والنظر إلى محارمه، والتماس عثراته، والإساءة أيضا إلى أهله، هذه كلها كبيرة،" واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ، واللهِ لا يُؤْمِنُ. قيلَ: ومَن يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الذي لا يَأْمَنُ جارُهُ بَوايِقَهُ. أخرجه البخاري(6016) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

تأمن ما أمن من غشمه، ما أمن من ظلمه، ما أمن، وفي الصحيحين، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سَأَلْتُ -أوْ سُئِلَ- رَسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: أيُّ الذّنْبِ عِنْدَ اللهِ أكْبَرُ؟ قالَ: أنْ تَجْعَلَ لِلّهِ نِدًّا وهو خَلَقَكَ. قُلتُ: ثُمّ أيٌّ؟ قالَ: ثُمّ أنْ تَقْتُلَ ولَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ معكَ. قُلتُ: ثُمّ أيٌّ؟ قالَ: أنْ تُزَانِيَ بحَلِيلَةِ جَارِكَ. قالَ: وتَزَلَتْ هذِه الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم: {وَالّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِي حَرّمَ

اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} [الفرقان: 68].

البخاري(4761) ومسلم(86)

ذكر من عظام الذنوب أي الذنب أعظم يا رسول الله، أعظم أكبر أعظم أي من كبائر الذنوب قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك، هذا ذنب لا يغفر، قيل ثم أي قال: أن تزاني حليلة جارك، زوجة جارك تبتبغي أن تنظر إليك أن تنظر إليها، تزاني هي تزانيها، هذا معروف في اللغة، تبتغي الفاحشة فيها، وهي كذلك، فتتجارى معها إن كانت سيئة، هذا كله لا يجوز لا منها ولا منه، قيل ثم ماذا يا رسول الله قال: ثمّ أنْ تقتُلَ ولَدَكَ خَشْيَةَ أنْ يَطْعَمَ معكَ.

وهذا أيضا من كبائر الذنوب، هكذا الدياثة، وشرب الخمر، من مات وهو مدمن للخمر، وعقوق الوالدين،:"وَلَعَنَ اللهُ مَن لَعَنَ وَالِدَهُ، وَلَعَنَ"؛ أخرجه مسلم(1978) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولا يحصل اللعن إلا على كبيرة من كبائر الذنوب، فإذا فهمت ذلك تميزت لك الكبائر وغيرها، وكم من الناس من يسب والديه ويحقر والديه، ويؤفف والديه، أف يتضجر منهم،{فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23)وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)}[الإسراء:23،24].

أنت مأمور بذلك، فعقوق الوالدين كبيرة من كبائر الذنوب، ومعرض صاحبه للعنة الله، وكلما توعد عليه بلعنته أو بغضب، أو بالنار، أو بحد من الحدود، أو بوعيد شديد، أو بسخط الله سبحانه وتعالى، أو بمقت الله، أو بحرمانه الجنة، أو بتعرضه للنار، كل هذا تعتبر كبائر، ولهذا ذكر الهيتمي رحمه الله، ابن حجر الهيتمي المكي أكثر من أربعمائة كبيرة يجهلها الناس، كثير من الناس يجهلونها فيقعون فيها وهم لا يشعرون، وتصوير ذوات الأرواح كبيرة من كبائر الذنوب، ولعن المصور، " إنّ الّذينَ يصنَعونَ هذهِ الصُّوَرَ يُعذّبونَ يومَ القيامةِ فيُقالُ لَهُم : أحيوا ما خَلَقتُمْ"؛أخرجه البخاري (5951)، ومسلم (2108) باختلاف يسير،عن

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

متوعد عليها بالعذاب بالنار.

"يَخرجُ عُنقٌ من النّارِ يومَ القِيامةِ له عينانِ تُبصِرانِ ، وأُذُنانِ تسْمَعانِ ، ولِسانٌ يَنطِقُ ، يقولُ : إنّي وُكِلْتُ بثلاثةٍ : بِمن جعل مع اللهِ إلهًا آخرَ ، وبكلِّ جَبّارٍ عنِيدٍ ، وبِالمُصوّرِينَ"؛أخرجه الترمذي (2574) واللفظ له، وأحمد (8430) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كبيرة استهان بها الناس من كبائر الذنوب، حتى صار كل واحد جواله بيده ويرتكب الكبيرة في كل وقت وحين، سواء كان في وقت اجتماعات الناس، أو كذلك أيضا في مناسباته، جواله في يديه والكبائر يرتكبها ليل ونهار، بكل سهولة، استلانت الكبائر في أعين الناس، في المأكولات، في المشروبات، في الأفعال والتشبه بالكفار، "صِنْفانِ مِن أهْلِ النّارِ لَمْ أرَهُما، قَوْمٌ معهُمْ سِياطٌ كأذْنابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بها النّاسَ، قوم يعني هذا من الكبائر لأنه ظلم واعتداء وضرب بغير حق.

ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِياتٌ مُمِيلاتٌ مائِلاتٌ، رُؤُوسُهُنّ كأسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنّةَ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها، وإنّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كذا وكذا. أخرجه مسلم(2128) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، الحمد لله الذي منّ علينا بطلب علم فقه الدين، هذه والله منّة عظيمة، نحمده سبحانه وتعالى على هذه النعم العظيمة الجليلة، ونشكره ونثني عليه الخير كله، عباد الله إن مما تفقه به دينك أن تصحح توحيدك فتموت على توحيد الله عز وجل، وإذا صفى لك ذلك فإنك صفى لك خير كثير، من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، حتى وإن تعرض لبعض الكبائر ولم يتب منها لعذاب الله لكن قد يخرج من النار إلى الجنة، لقول الله:{إِنّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ}[النساء:48].

فمن الكبائر ما أصحابها يدخل النار ما يخرجون منها أبدا، الشرك بالله، الكفر بالله، كما قال الله سبحانه:{إِنّ الّذِينَ كذّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ حَتّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمّ الْخِيَاطِ ۚ}[الأعراف:40].

وهذا شيء مستحيل أن يأتي الجمل بكبره وضخامته فيدخل في عين ثقب الإبرة، شيء مستحيل، أي أنه لا يمكن دخول الكافر بالله المكذب بآيات الله الجنة، {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمّن كذّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِي الّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (157)}[الأنعام:157].

وقال الله:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كذّبَ بِالْحَقّ لَمّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ (68)}[العنكبوت:68].

ومن كبائر الذنوب الكبر يا عباد الله، كبيرة عظيمة يقترفها كثير من الناس، رجلا ونساء، يبطر الحق ويغمط الناس، "لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرّة من كبر! فقال رجل: إنّ الرّجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال: إنّ الله جميل يحبُّ الجمال، الكبر: بطر الحقّ وغمط النّاس"؛رواه مسلم (91) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

من هذا، واحتقار هذا، وأن هذا لا شيء وهكذا، الفخر بالأحساب،

والطعن في الأنساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم، وما كان من ذلك،:" أَرْبَعٌ في أُمّتي مِن أمْرِ الجاهِلِيّةِ لا يَتْرُكُونهُنّ: الفَخْرُ في الأحْسابِ، والطّعْنُ في الأنْسابِ، والاسْتِسْقاءُ بالنّجُومِ، والنِّياحَةُ. وقالَ: النّائِحَةُ إذا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِها، تُقامُ يَومَ القِيامَةِ وعليها سِرْبالٌ مِن قَطِرانٍ، ودِرْعٌ مِن جَرَبٍ. أخرجه مسلم(934) من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

وقال عليه الصلاة والسلام:"أبْغَضُ النّاسِ إلى اللهِ ثلاثةٌ: مُلْحِدٌ في الحَرَمِ، ومُبْتَغٍ في الإسْلامِ سُنّةَ الجاهِلِيّةِ، ومُطّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بغيرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ. أخرجه البخاري(6882) عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

سنة الجاهلية كبيرة، التشبه بالكفار كبيرة، تبتغي سنة الجاهلية وطريق الجاهلية وتترك الإسلام، ألك عقل؟ الله ميزك، الله أكرمك، الله جعلك مسلما، ثم تلتمس تقليد الكفار، تصير من أبغض الناس إلى الله عز وجل يوم القيامة، يبغض الكفار والمنافقين وأنت من ضمنهم، ممن تبغض أشد البغض، أبْغَضُ النّاسِ إلى اللهِ ثلاثةٌ: مُلْحِدٌ في الحَرَمِ، ومُبْتَغٍ في الإسْلامِ سُنّةَ الجاهِلِيّةِ، ومُطّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بغيرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ.

بدون أي حق، وهجر المسلم أيضا كبيرة من كبائر الذنوب، واجب فقهه، إلا لمبتدع ضال معاند مجاهر بالمعصية فقد دلت الأدلة على ذلك، لقول النبي صلى الله عليه وسلم:"الْقَدَرِيّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمّةِ ، إِنْ مَرِضُوا فَلَا تَعُودُوهُمْ وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تَشْهَدُوهُمْ"؛رواه أبو داود في "سننه" (4691) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

أما سائر المسلمين وأخيار المسلمين فإنه إن زاد على ثلاث كان كبيرا، قال النبي صلى الله عليه وسلم:"لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ"؛رواه أبو داود (4914) ، وأحمد (9092) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

توعد عليه في النار، قد يحصل خلاف بين الأخ وأخيه يكون عنده شيء من الغضب سمح له بالثلاث، ثلاثة أيام بلياليها على الأصح، وما زاد على ذلك كان كسفك دمه، وقتل المسلم كبيرة من كبائر الذنوب، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" من هجرَ أخاهُ سنةً ، فهو كسفكِ دمِه"؛أخرجه أبو داود (4915)، وأحمد (17935) من حديث أبي خراش السلمي رضي الله عنه.

وهذا فاش بين الناس، على أتفه الأسباب مع أخيه ومع جاره يهجره السنة والسنين والثلاث وربما إلى أن يموت، وهذا كله لا يجوز ،هذا كبيرة، أنت الآن مرتكب كبيرة، أم المؤمنين رضي الله عنها عائشة لما تصدقت بصدقة أو أنفقت نفقة فبلغ عبدالله بن الزبير وكان هو الأمير ابن اختها، فقال لأحجرن على أم المؤمنين عائشة، أي هذا الفعل، فأخبروها، قالت أهو قال ذلك؟ قالوا : نعم، قالت : هو لله نذر أن لا أكلم ابن الزبير، فلما طال الهجر عليه واشتد عليه ذلك جاءه من الألم بهجر خالته له زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين، فما زال يحتال ويأتي بالمسور وبعض الصحابة رضوان الله عليهم ثم يقول: السلام عليك أم المؤمنين، ثم ينادونها من وراء حجاب ،فكان هناك ستر ثم ستر آخر يدخله ويسأل السائل، أن ادخل قالت نعم أي ادخل من الباب إلى الستر لا يرونها، فدخلوا بعد ذلك ثم دخل لم يقولوا معنا عبدالله بن الزبير، ثم دخل عبدالله بن الزبير معهم ودخل عليها، على خالته، وأخذ يقبلها ويبكي ويناشدها الله أن تترك هجره، فإنه لا يحل لك، وهم يناشدونها من وراء حجاب ننشدك الله يا أم المؤمنين أن تكلميه، وأن تتركي هجره، فإن ذلك لا يحل لك كما تعلمين، فلما ذكروها ذلك راجعت كلامه وعفت عنه وتركت هجره وأعتقت في ذلك أربعين عبدا، منها ما أعطاها عبدالله بن الزبير هو بنفسه أعطاها كفارة لنذرها، ومنها ما جعلته من نفسها، كانت تأخذ شيء من الماء وترسله إلى بعض الناس يشترون عبيدا ويعتقون، كل ذلك لأنها هجرت ابن أختها هجرت صاحبيا وأطالت في هجره، ونذرت

هجره لله سبحانه وتعالى، ونذرت هجره وأطالت في هجره، وكانت تذكر نذرها ذلك وتبكي، قال بعض أهل العلم إن فعلها ذلك لأنها أطالت في هجره ونحو هذا، هذا يدل على أن في هناك أمور تمادى فيه الناس ما فقهوها، يرتكب معصية وهو يحسب أنه يحسن صنعا، بل مع أركانه فيقطع رحمه، ويهجر رحمه، لا يدخل الجنة قاطع، كبيرة من كبائر الذنوب، معرض إلى حرمانه من الجنة، يقطع رحمه على أتفه الأسباب، هذا موضع مهم عباد الله، غفل عنه كثير من الناس بقتراف كبائر الذنوب وهو يظن أن ذلك ليس فيه كبيرة لعدم فقهها، ويعرض نفسه لوعيد شديد، أو للعنة، أو لغضب، أو لنار، أو حرمانه من الجنة، كل هذا مما وجب بيانه، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا في الدين وأن يعلمنا التأويل، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.